19me, année No 952

Le Caire 1 — 10 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ذى الحجة سنة ١٣٧٠ — أول أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة الثامنة عشرة »

الدولة والأدب

فى الاتحاد السوفييتى

للأستاذ عمر حليق

هناك ظاهرة جديدة يلمسها المتنبه للانتاج الفكرى فى الاتحاد السوفييتى فيما يصل إلى الأوساط الأدبية هنا فى نيويورك من كتب ومجلات ومقتطفات تتعاون مع نشرها باللغة الإنجليزية المؤسسات العلمية الأمريكية والمعنيون بالشؤون الداخلية لروسيا السوفييتية تنويرا لأذهان الرأى العام عن اتجاهات الفكر الروسى المعاصر

هذه الظاهرة الجديدة هى انتقاد المراجع السوفييتية الرسمية لما تعتقد بأنه « شعوبية » ألمت بطائفة من رجال الأدب والفن الروسى فى معالجتهم لشؤون الحياة ونظرتهم إليها بين آن وآخر من زاوية لا ترامى مراعاة دقيقة إيديولوجية ماركس — لينين — ستالين التى هى عماد الفكر والحياة السوفييتى المعاصرة

خذ مثلا ما قالته جريدة « برافدا » لسان حال الحكومة الروسية الحاضرة فى عدد ١٤ أغسطس ١٩٥١ فى افتتاحية يقرؤها الملايين فى مختلف اللغات الإقليمية التى تتكلم بها شعوب الاتحاد السوفييتى فى شرق أوروبا وشمالى آسيا :

« الأدب والفن فى روسيا يجب أن يقتديا بمبادئ الحزب الشيوعى الذى هو عماد العهد السوفييتى . والحزب (الشيوعى) لم يبخل بالجهد فى إفهام الكتاب والفنانين بأن فكرة « الفن للفن » لا تتماشى مع المصلحة الجوهرية للنظام الشيوعى والعهد السوفييتى الذى حققت لروسيا هذه المكانة وهذه الرفعة

« فالبيان الذى نشرته مؤخرا اللجنة المركزية للحزب الشيوعى يشرح بوضوح أن الأدب السوفييتى — وهو فى الطليعة بين الآداب المعاصرة — يستند فى أصوله إلى حقيقة واحدة وهى أن كل إنتاجه فكرى لا يعالج صميم الحياة الشعبية ولا يلمس المصلحة الأساسية — عاطفية كانت أم سياسية أم اقتصادية — للكثرة من الشعب — كل إنتاج من هذا القبيل هو سوء اجتهاد :

« فهذه القصص والمسرحيات واللوحات والقطع الموسيقية التى أنتجها المبدعون خلال العهد السوفييتى ولاقت رواجا شعبيا واسعا لم تضمن هذا الرواج وهذه الرفعة إلا لأنها صاغت فى القالب الفنى ألوانا من الحياة الواقعية التى عاشها أبطال هذه

الروائع الفنية فى خضم التطور الاجتماعى الذى ألم بالحياة الروسية منذ أن اتخذت إيديولوجية ماركس — لينين — ستالين نبراسا لها

« واستمر الأدب والفن فى الاتحاد السوفييتى على هذه الصلة الوثيقة بالحياة الواقعية فحقق الفكر السوفييتى المعاصر ألوانا من الإبداع هو مدعاة للفخر . وهذا ما استوجب اليوم أن نشن حملة لا هوادة فيها على شذرات من الأدب والفن تسربت إلى الإنتاج السوفييتى الحديث فتجاهلت صلة الأدب والفن بالحياة اليومية وانساقت فى خمرة « الفن للفن وحده » . وهذه الخمرة برجوازية (رأسمالية) لا ترضى عنها إيديولوجية السوفييت . وأصبح لزاما على هؤلاء « الشعوبيين » من الكتاب والفنانين أن يزيلوا الغشاوة عن عيونهم وأن يساهموا فى دفع أذى هذه الخمرة البرجوازية » . ا هـ

ونشر الكاتب السوفييتى المعروف (ا. سوكوف) طعنا فى هذه « الشعوبية » كراسا خص بالنقد فيه مجلتين أدبيتين حديثتين هما « لينينغراد » و « سفيزدا » وحلقات للانتاج المسرحى فى بعض المقاطعات السوفييتية الآسيوية وفى أكرانيا

قال سوكوف :

« من أبرز الإنتاج الفكرى خلال الأعوام الخمسة الماضية (أعوام ما بعد الحرب) بين أدباء وفنانى ولايات خوزستان وتركستان وأزبا كيستان وأزربيجان هو عزوفهم فى قرض الشعر عن مواضع لا تمت إلى الحياة الشعبية السيارة والتفاتهم إلى نواح فى الإنتاج الفنى النثرى صلتها بالحياة الواقعية صلة صادقة متينة

« وبرغم هذا الاتجاه القويم فإن السنوات الخمس الماضية قد شاهدت لونا من الإنتاج الفنى لا يليق بالفكر السوفييتى . ومثال ذلك القصص والمسرحيات التالية : « دخان الوطن » لسيمونوف و « حياة بكتوف » لسافرونوف و « نهر النار » لجوزيفيكوف

« والنقيصة التى تشترك فيها مثل هذه الأعمال الأدبية هى تجاهل واضعيها جوهر الحياة اليومية وانسياقهم فى ألوان من التخيل لا يستمد قوته من تيار المعيشة فى حياة الفرد والجماعة . حتى بعض المسرحيات الفنية كأوبريت « الحارس الشاب » يجب أن تراعى الحقائق التاريخية وجوهر الحياة اليومية مراعاتها الميزان الموسيقى والنغمة المنسجمة

« هذا لون من الإبداع الفكرى يجب أن يكون شديد الصلة بالحياة الواقعية ، وكل نقد أو تقريظ للأدب والفن لا يراعى هذه الصلة بعد من قبيل الإهمال الذى لا يرضى عنه الأدب الحى . ولذلك فلا عذر لأندية الأدب والفن فى أزربيجان وأرمينيا وأستونيا مثلا أن تتجاهل هذه الحقيقة عندما تهاونت فى انتقاء طائفة من المسرحيات والقصص والأوبرات الشعوبية التى ظهرت فى الأسواق الأدبية هناك عزيزة آمنة . »

ويناصر هذا الأديب الروسى المعروف حملة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى على هذه « الشعوبية » فى الأدب والفن ، ولا يجد غرابة فى أن تشن الصحافة الرسمية فى روسيا حملتها على النقاد والحلقات الأدبية والفنية والعواصم والأقاليم . ويختار أديبنا هذا بالذات قصيدة للشاعر الأكرانى (سوسيدرا) عنوانها « أحب أكرانيا » لاقت فى مقاطعة أكرانيا رواجا وقبولا حسنا . وأكرانيا ولاية فى روسيا الأوروبية عرف أهلها بنزعتهم القومية المحلية وتعلقهم بها تعلقا يعرفه كل مطلع على تاريخ الشعب الروسى

وينتقد سوكوف حلقات الأدب فى أكرانيا لتركها هذه القصيدة تمر دون نقد يأخذ بيث الاعتبارات الإيديولوجية السوفييتية

ثم يمضى سوكوف فى استعراضه لاتجاهات الأدب السوفيتى الحديث فيقول « إنه وإن كان يحلو لنا أن نعترف بنجاح الأدباء والكتاب السوفييت نجاحا لابد من الثناء عليه إلا أنه يجب علينا أن نعترف كذلك بأن الإنتاج الأدبى والفنى فى روسيا لم يصل بعد إلى الكمال ولم يستطع بعد أن يتكافأ مع عظمة النمو الصناعى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى حققه عهد ستالين »

ويستشهد الكاتب بمأثرة للأديب الروسى الكبير «ماكسيم جوركى» فيقول «يطيب لنا — والحالة هذه — أن نستذكر نصيحة جوركى للأدباء الأحداث حين قال لهم: إذا كان للأدب أن يحقق ما عليه من مسؤولية الأمة فإن عليه أن يدرك الواجب الأساسى ويتقنه فى غير هوادة أو اعوجاج. هذا الواجب هو مراعاة الجد والدقة فى دراسة صور الحياة الواقعية المعاصرة. حياة اليوم والساعة. وعلى الأدباء أن لا يقطعوا صلتهم بالحياة اليومية وأن يعنوا فى تصوير الحياة العاملة بأوسع معانيها فى إطار الفن والإلهام.»

وقد تناولت كبرى مجلات الأدب الروسى «جازيتا إتراتوريا» هذه «الشعوبية» فى بحوث عديدة بأقلام عدد من كبار الأدباء الروس كلها تنتقد موجة «الفن للفن وحده» التى تسربت إلى بعض الأوساط والحلقات الأدبية فى ولايات روسيا الآسيوية والأوربية

وهذا الاهتمام الزائد الذى واجهت به السلطات الروسية الرسمية هذه «الشعوبية» الطارئة مدفوع باليقظة الدقيقة التى تراقب بها حكومة ستالين اتجاهات الفكر فى القارة السوفييتية

وقد توافق أو تخالف مبدأ «الفن للفن وحده». فالجدل حول هذا الموضوع لم يخل منه تاريخ الآداب الإنسانية قديمها وحديثها. إنما المهم أن نتعرف على مركزية الفكر فى الاتحاد السوفييتى ومبلغ الجد فى حاسها لجعل إيديولوجية ماركس — لينين — ستالين شاملة لشتى نواحى النشاط الإنسانى سواء أكان اقتصاديا أم سياسيا أم فنيا

وليس المهم أن نستعرض هنا صلاح هذه المركزية الفكرية أو طلاحها، فلقد تقرر فى المعهد السوفييتى تسخير النشاط الإنسانى بأسره لتحقيق الاشتراكية الماركسية الكاملة

فإذا تقرر أن الإنتاج الاقتصادى مثلا يجب أن يتمشى مع المبدإ الشيوعى المعروف «من كل بقدر ما يستطيع إلى كل حسب حاجته» فلا مفر من أن يتقرر كذلك توجيه الأدب والفن السوفييتى ليخدم ويحقق هذا المبدأ

فإذا كان مقياس صلاح الأشياء فى أيديولوجية السوفييت هو مبلغ نفعها للكثرة من الناس، فإن على المبدعين من الأدباء والشعراء والفنانين — والحالة هذه — أن يضعوا مصلحة الأيديولوجية السوفييتية ونظام الحياة الذى اختارته فوق «خمرة» الفن للفن وحده.

ونشاط المسؤولين فى الاتحاد السوفييتى لمحاربة هذه «الشعوبية» لم يقتصر على توجيه النداءات وتذكير النقاد وحلقات الأدب والفن بعلاقة الأيديولوجية السوفييتية بالإنتاج الأدبى والفنى. ففى عدد ١٨ أغسطس من جريدة برافدا افتتاحية تناولت الدور الذى يجب على بيوت النشر والطباعة فى روسيا عمله لمحاربة هذه «الشعوبية» قالت برافدا:

«الواجب الرئيسى لدور النشر والطباعة فى الاتحاد السوفييتى هو صيانة الأدب الرفيع فى إطار المبادئ السوفيتية. فالكتب والمجلات يجب أن تستذكر دائما مبادئ العهد السوفييتى وأسسه الفكرية. وكل انصراف عن هذه المبادئ يضر بالحياة السوفييتية، فيجب أن لا تطرح فى الأسواق الروسية كتب ومجلات لا تراعى طبيعة الكيان الاجتماعى والفكرى للشعب السوفيتى وتراثه الأدبى والفنى ومصلحة السياسة والاقتصاد والقومية

«وإن من دواعى الأسف أن ينساق نفر من دور النشر فى غمر الأسواق بإنتاج أدبى وفنى لا يراعى هذه الحقائق. فإذا كانت الرغبة فى ترويج الكتب وزيادة أعدادها هو الدافع لهذا الاتجاه فإن هذه الرغبة خاطئة. فالمهم فى الإبداع الفنى قيمة الكتاب لا عدد ما يباع منه. ويجب أن يكون الكتاب السوفييتى خير كتب العالم من حيث صدق الفكرة وروعة الفن وحيوية الأدب وصلته بالحياة الواقعية لا من حيث عدد ما يطبع منه

«والدولة السوفييتية لا تشجع أصحاب دور النشر أن يتبعوا أساليب البرجوازيين الرأسماليين فى ترويج الكتاب على أساس

من خمرة الحس والشهرة وأهواء الرضى من أصحاب الثقافة المشوهة »

ولفتت « برافدا » النظر إلى ضرورة تثقيف المسؤولين عن اختيار الكتب والمقالات في بيوت النشر الروسية وترقية أذواقهم الفنية في إطار الأيديولوجية السوفيتية ، وتعرضت « برافدا » بالذات إلى مجلة « الفن » (اسكوستوفو) الروسية وقالت بأن بعض محرريها تعوزهم الثقافة الصادقة والذوق الفني الصحيح .

حتى اللغة وقواعد الصرف والنحو لم تخل من اهتمام الدولة السوفيتية إزاء هذه الظاهرة

فقد نشر ستالين نفسه منذ بضعة أشهر فقط دراسة دقيقة في كراس بعنوان « الماركسية ومسألة اللغات » عالج فيها عامل روسيا علاقة اللغة بالأيديولوجية السوفيتية من وجهة النظر الماركسية ، وقال ستالين : « إن الفهم الصادق لقوانين التطور في لغات الشعوب أمر له أهمية خاصة لتحقيق الاشتراكية الكاملة »

وقد شرح ستالين هذه القوانين فأشار إلى « ضرورة خلق ظروف وملابسات معينة تعجل نمو لغة موحدة في دولة كالاتحاد السوفيتي تضم عشرات اللغات واللهجات والثقافات المتباينة

وهذا التباين في المقومات الثقافية لشعوب الاتحاد السوفيتي في قطاعاته الآسيوية والأوربية كان من أبرز ما اهتم به ستالين في مطلع حياته الفكرية ، وكتابه عن « الماركسية ومشاكل القوميات » يسجل إدراك ستالين للمشاكل العاطفية وتباين مقومات الخلق القومي فيما وضعه البلشفيك من نظام لروسيا السوفيتية

وستالين — ككل ماركسي واع — من أعداء القوميات لأنها في اعتقادهم تعرقل تحقيق الاشتراكية الكاملة في عالم تتشابك فيه المصالح الاقتصادية والسياسية ويتكفل بعضها على بعض كما هو الحال في هذا الإقليم الواسع الذي يتألف منه اليوم الاتحاد السوفيتي

ولكن آراء ستالين في مشاكل القومية لم تمنعه عن مبالغ قوتها خصوصا بعد هذه التجارب الطويلة التي خبرها أولو الأمر في روسيا في معالجتهم للقوميات المحلية في القطاعات الآسيوية والأوربية التي تشكل اليوم الدولة السوفيتية

ولذلك فإنك تلمس في دراسة ستالين الجديدة عن « الماركسية ومسألة اللغات » تحويرا في بعض آرائه القديمة عن القوميات . وتدرك في ثنايا هذه الدراسة مناورة فكرية جديدة

فستالين أصبح الآن يعتقد بأن تطور الشعب نحو الشيوعية الحق يمر في مرحلتين يتوازى ويتناسق فيهما هذا التطور

الأولى — مرحلة قديمة بحتة تعبر الجماعة فيها عن مشاعرها وآمالها القومية المحلية في لغة الجماعة وثقافتها القومية المحلية

والثانية — مرحلة أعم اتساعا تنمو فيها الفكرة « الإقليمية » أولا ثم « العالمية » بعد ذلك فتتسع الآفاق على نحو تفرضه العلاقات الإنسانية في عالم اتسعت فيه المواصلات الفكرية واحتكت فيه الثقافات والأفكار احتكاكا متزايدا

وهاتان المرحلتان تسيران متحاذيتين . ففي حين تنمو التعبيرات القومية في اللغات المحلية نموا طبيعيا تنمو كذلك المرحلة الثانية « الإقليمية ثم العالمية » نموا أشد قوة لأنها تهيمن على كثير من أوجه النشاط الإنساني في عالم يزداد احتكاك أجزائه يوما بعد يوم ، ويفرض على القوميات المحلية ضرورة الاندماج

ولا يترك ستالين آراءه هذه في إطارها العام ، وإنما يستدرج القارئ إلى الهدف الخاص الذي دفعه إلى معالجة مسألة اللغات

ويشرح ستالين كيف أن الأيديولوجية السوفيتية قد حققت للقوميات المحلية في القطاعات والولايات الروسية المتباعدة فرصا لتنمية لهجاتها ولغاتها الوطنية على مبادئ ماركس ولينين

وفى رأى ستالين أن اللغة تنمو فى اتجاهين :

إتجاه يعمل على زيادة المفردات والمصطلحات فى اللغة المحلية ويزيد من ثروتها التقليدية بفضل التعبيرات الحديثة المستمدة من الحياة الاشتراكية الجديدة وما خلقته من تطور اجتماعى وصناعى وسياسى واقتصادى وثقافى

أما الاتجاه الثانى فيعمل على توحيد هذه المفردات والمصطلحات والمشتقات والتعبيرات المستمدة فى الحياة السوفييتية الجديدة بين مختلف اللغات القومية المحلية التى تعيش على النظام الأيديولوجى الجديد . ويجرى هذا التوحيد فى إطار قواعد نحوية وصرفية جديدة تشترك فى اقتباسها هذه اللغات المحلية فتختلف فيما بينها تعبيرا مشتركا ، وبذلك تثبت دعائم النظام السوفييتى الجديد الذى وفر لها هذا التطور اللغوى

ويقول ستالين إنه لولا توفر النظام اللغوى الجديد (أى الأيديولوجية السوفييتية) لما تيسر للغات المحلية أن تزيد ثروتها اللغوية من المفردات والمصطلحات والتعبيرات وقواعد الصرف والنحو المستحدثة ، وستالين واثق من اليوم الذى يتم فيه تناسق هذه اللغات المحلية فى إطار لغة الوطن الروسى الأكبر على أساس هذين الخطين اللذين شرحهما

وستالين فى دراسته الجديدة عن « الماركسية ومسألة اللغات » لا يقول بأفضلية لغة على أخرى بين لغات العالم الأكبر من حيث جمال اللفظ وسهولة النطق ، وإنما يعتقد — استنادا إلى هذه الخطط التى شرحها — أن العالم سيأخذ فى المراحل النهائية باللغة التى تحتوى على ذخيرة واسعة فى المفردات والتعبيرات التى هى أقرب صلة بالحياة العملية الواقعية

وهدف ستالين الرئيسى من بحثه هذا هو دعوة الكتاب والشعراء والفنانين السوفييت لأن يجعلوا تصويرهم للحياة أكثر تعبيرا عن الواقع حتى يضمنوا للغة الروسية مرونة وواقعية تحقق لها الفوز فى سباق التفوق والسيادة بين لغات العالم

وستالين فى دعوته هذه يساهم شخصيا فى محاربة هذه الظاهرة الجديدة فى إنتاج روسيا الأدبى والفنى فى عالم ما بعد الحرب

فالأيديولوجية السوفييتية لا ترضى عن مبدإ « الفن للفن وحده » وتعده من الأسباب التى تخدر الشعوب وتعمى قادة الفكر والدهماء فيها عن دقائق الحياة الواقعية ومشاكلها

ولا تزال حملة المسؤولين الروس على هذه « الشعوبية » فى الإنتاج الأدبى والفنى على أشدها كما تشهد على ذلك ألوان الأدب والفن الروسى المعاصر التى تجد سبيلها إلى العالم الخارجى

نيويورك — عمر عليوى

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى للرحلات الثانية من كتاب

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر فى الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثانى أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة